كتاب (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر بيبرس) الشكل والمحتوى

الباحث/ عبد العال فرغل عبد الله محمد
إشراف
الأستاذة الدكتورة/ نعمة علي مرسي

ملخص البحث:

إحتوى البحث على منهج ابن عبد الظاهر واسلوبه ومصادره في كتاب الروض الزاهر، كما تناول أيضاً مختصر لبعض المواضيع التي يحتويها الكتاب ومن هذه المواضيع دور السلطان بيبرس في تأسيس دولة المماليك فهو يُعد المؤسس الحقيقي لهذه الدولة التي امتدت لقرون، وجهوده في محاربة الصلبيين وتحرير الإمارات الإسلامية من بين أيدهم كذلك حربه ضد المغول وقد استفاد بيبرس من تحالفه مع مغول القفجاق ضد مغول فارس وهم أبناء عمومة، حيث يرجع نسب كليهما إلى جنكيز خان مؤسس الإمبراطورية المغولية، فاستغل إعلان إسلام بركة خان زعيم القفجاق وأرسل إليه برسالة يُعلمه فيها أن من مقتضيات الإسلام جهاد الكفار، فهو ذروة سنام الإسلام، يغريه بذلك على مواجهة ابن عمه هولاكو، وبالفعل حدثت صدامات بين مغول القفجاق ومغول فارس أدت إلى انشغال مغول فارس "الإيلخانيين" بهذه الخلافات بعض الوقت عن المماليك، كما أدت إلى نشوء ظاهرة الهجرة أو ما عُرف باسم الوافدية الذين وفدوا من المشرق وانضووا تحت القوة المملوكية.

الكلمات المفتاحية: منهج، أسلوبه، مصادره، الروض الزاهر، السلطان بيبرس، مغول القفجاق، مغول فارس، الإمبراطورية المغولية.

The research included the method, style and sources of Ibn Abd al-Zahir in the book Al-Rawd al-Zahir. It also included a summary of some of the topics contained in the book, including the role of Sultan Baybars in establishing the Mamluk state, as he is considered the true founder of this state that extended for centuries, and his efforts in fighting the Crusaders and liberating the Islamic emirates from their hands, as well as his war against the Mongols. Baybars benefited from his alliance with the Qipchaq Mongols against the Persian Mongols, who were cousins, as both of them traced their lineage back to Genghis Khan, the founder of the Mongol Empire. He exploited the declaration of Islam of Berke Khan, the leader of the Qipchaq, and sent him a letter informing him that one of the requirements of Islam is jihad against the infidels, as it is the pinnacle of Islam, thus tempting him to confront his cousin Hulagu. Indeed, clashes occurred between the Qipchaq Mongols and the Persian Mongols, which led to the Persian Mongols (the Ilkhanate) being preoccupied with these differences for some time, away from the Mamluks. It also led to the emergence of the phenomenon of migration, or what was known as the expatriates, who came from the East and joined the force. Mamluk.

Key words: Method, Style, Sources, Rawdat Al-Zahir, Sultan Baibars, Mongols of the Qipchaq, Mongols of Persia, Mongol Empire

المقدمة:

ازدهرت الكتابة التاريخية في عهد دولة المماليك وكانت امتدادا لحركة تاريخية نشطة في العهدين الفاطمي والأيوبي، غير أنها أصبحت في عصر المماليك أكثر غزارة وتنوعاً عن ذي قبل، واشتغلت بها طوائف مختلفة من العلماء والفقهاء والكتاب.

وقدم المؤرخون خير إنتاجهم في مختلف ميادين الكتابة التاريخية، وكان إنتاجاً عظيماً من حيث الكم والكيف، وعلى أيديهم ظهرت الموسوعات الكبرى، مثل"صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقلقشندي(ت ٨٢١ه/ ١٤١٨م)، "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري(ت ٧٣٣ه/ ١٣٣٣م)، و"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ه/ ١٣٤٩م).

وكان من أبرع المؤرخين الذين ظهروا في مطالع دولة المماليك البحرية محيي الدين بن عبد الظاهر، وكان إلى جانب كونه مؤرخا كبيرا كاتبا عظيما صاحب قلم بليغ أهّله لأن يحتل مكانة مرموقة في الصف الأول من كتاب العربية، وقدم للمكتبة التاريخية روائع في فن الترجمة الشخصية، وخص السلطان بيبرس بواحدة من أجمل السير في تراثنا العربي، اعتمد عليها كل من جاء بعده من المؤرخين.

التمهيد:

قام اثنان من المؤرخين الكبار بتأليف سيرتين مستقلتين الواحدة عن الأخرى للملك الظاهر، الأولى من تأليف عز الدين بن شداد الحلبي والثانية لمحيي الدين بن عبد الظاهر، واختصر شافع بن على (ت ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠ م) سيرة خاله محيي الدين بن عبد الظاهر، وعليه أصبح للظاهر بيبرس ثلاث سير مصنفة، فاجتمع له في هذا الخصوص ما لم يجتمع لغيره من السلاطين.

وما يهمنا هنا سيرة الملك الظاهر التي ألفها محيي الدين بن عبد الظاهر، والتي تناولها العديد من المؤرخين المعاصرين لمحيي الدين واقتبسوا منها نصوصاً عديدة، وقد تصدرت المصادر التاريخية التي تكلمت عن حكم الملك الظاهر بيبرس وما صاحبها من أحداث محل اهتمام مؤرخنا ابن عبد الظاهر، وبقدر أهمية الكتاب أردت في هذا البحث تسليط الضوء عن محتوى الكتاب من حيث منهجه واسلوبه ومحتواه وحسبي أني مجتهد في عمار البحث التاريخي وأمل من الله – عز وجل – يلهمنى سبيل الرشاد ومنه التوفيق والسداد.

مصادر ابن عبد الظاهر في كتاب "الروض الزاهر" :

تتميز مصادر ابن عبد الظاهر أنها بمجملها شخصية اقتصرت على نوعين من المصادر في تأليف كتابه هما :

١ – المشاهدة والملاحظة :

حيث اعتمد ابن عبد الظاهر على مشاهداته، فقد كان معاصراً للأحداث التي أرخ لها، بل وكان مشاركاً في كثير من الأحداث التي أرخ لها، وقد شاهد هذه الأحداث بنفسه، وأطلاعه على الوثائق الإدارية الرسمية من خلال عمله، فهو كاتب السر للسلطان، فهو يؤرخ لفترة عاصرها وعايش معظم أحداثها، فلا نجد أثراً لمصدر فيها وقد أشار المؤرخ صراحة إلى مشاهداته باستعمال تعابير منها : "وكان المملوك الأصغر مشاهده سفراً وحضراً، ومعاينة لا خبراً"(١)

– الرواية الشفوية

وأما الحوادث التي لم تسمح له الظروف أن يكون فيها شاهد عيان، فكان يعتمد على ما سمعه من أصدقائه ومعارفه ، ناقلاً رواياتهم بحرفيتها، ومصادره في هذا المجال أشخاص بارزون في منزلتهم، ومنهم السلطان نفسه، وكبار موظفي الدولة من أمراء

(١) محيي الدين بن عبد الظاهر:الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ه/ ١٩٧٦م، ص ٣٠.

وقضاة وعلماء الدين، مقدماً المعلومات التي استقاها بالعبارات التالية : " قال مؤلف السيرة، حسبما أملاه السلطان من لفظه"[١] " قال لي السلطان"[٢] " قال مؤلف السيرة القاضي محيي الدين : قال لي القاضي فتح الدين بن سناء الملك...."[٣] ، " قال مؤلف السيرة : حكى لي الأمير جمال الدين بن نهار وقال رأيت السلطان ....."[٤] هذا ما اخبرني به الاتابك"[٥] ،"قال مؤلف السيرة : حكى لي الملك المجاهد، صاحب الجزيرة، وأحياناً يُبهم ابن عبد الظاهر مصدره فيستهل كلامه بإحدى العبارتين :" وخبّرت"[٦] " لقد بلغني .... " [٧]

٢- المصادر الكتابية :

وكان ابن عبد الظاهر يقتبس أحياناً من المؤرخين السابقين عن الفترات السابقة لزمانه، فكان يذكر اسم المؤلف والكتاب، ويقدم للمعلومات المقتبسه بقوله مثلاً:" وقال البلاذري في كتابه : فتوح البلدان"، فحكى الرملي في كتابه : فتوح الشام، فنذكر ما نقل ابن حمدون في كتابه : : " التذكرة" قال القاضي محيي الدين : نقلت من خط أبي زكريا، يزيد بن إياس بن القاسم، صاحب تاريخ الموصل، قال : حكي ابن الأثير في تاريخه، قال " وقال ابن السمعاني في تاريخه" " ذكر ذلك مؤيد الدين بن منقذ، في كتاب الحصون" وهذا على سبيل المثال لا الحصر[٨]

أسلوبه في كتاب (الروض الزاهر) :

كتب ابن عبد الظاهر في التاريخ، وراعى ما كان شائعاً في عصره من أصول كتابية فقد كان أسلوبه عادياً عمد فيه إلى السجع الذي كان يأتي حيناً سهلاً وطبيعياً، وفي كثير من الأحيان متكلفاً، بالإضافة إلى سيطرة المحسنات اللفظية على بعض الجمل فجعلها عديمة المعنى، وقد يكتب عبارة تذكره بآية من القرآن أو بحديث نبوي أو بجملة في أحد الآثار الأدبية، فيسارع إلى الاقتباس منها حتى ولو كانت الصلة ضئيلة، ولا يكتفي أحيانا بأية واحدة من القرآن، وإنما يعمد إلى اقتباس آيات متعددة لعرض فكرته مع فاصل بين الآيات من إنشائه، ومن عيوب الأسلوب الظاهرة عدم اتقان استعمال الضمائر، كما أنه لا

(١) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ص ٣٤٢.
(٢) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ص ١١٢.
(٣) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ص٢١٢
(٤) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ص٢٣٧
(٥) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ص ٦٩.
(٦) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق ، ص ١٧٨
(٧) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق مقدمة المحقق، ص، ٢٤، ٥٦ .
(٨) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، مقدمة المحقق ، ص ٢٤، ٢٥.

يحسن استعمال أسماء الاشارة، فيذكر مؤنثاً ما يجب وروده مذكراً والعكس بالعكس، كما يستخدم أحياناً الكلمات العامية والتركية والفارسية، إضافة إلى إقحام أبيات الشعر إقحاماً أثناء عرضه للحوادث ... (١)

قيمة الكتاب :

يعتبر كتاب الروض، أحد أهم المصادر التي أرخت لحياة السلطان الظاهر بيبرس، ولا يرجع ذلك إلى دقة المؤرخ في تقصي الحقائق وتنظيم سردها فحسب، بل إلى عنايته الفائقة بذكر ترجمة الظاهر بيبرس بصفة خاصة، فهو عاصرها بنفسه، ومما يجعل للكتاب قيمة علمية على وجه الخصوص، أن ابن عبد الظاهر قد ضمنه عدداً من الكتب والتوقيعات والمناشير والوثائق الرسمية، التي لم نقع عليها في المصادر الأخرى، ويرجع ذلك الى ما ذكرناه من قبل وهي توليه منصب كاتب ديوان الأنشاء في فترة حكم الظاهر بيبرس،

وقدر مؤرخو العصر المملوكي كتاب الروض الزاهر، حق قدره ، فاتخذوه مصدراً أساسياً لما اقتبسوه عن حياة الملك الناصر، فمنهم من نقل ما جاء فيه حرفياً ، ومنهم من اقتبس.(٢)

تجري المعلومات في كتاب الروض الزاهر مرتبة في دقة ونظام بديع، وتتوالى الحوادث والتواريخ بأسلوب سهل ممتنع، بحيث ينطلق وراءها القارئ في غير ملل ولا سُوم، ثم تجئ بعد ذلك أنواع العهود والعقود والمخاطبات،

ويبدو من خلال النظرة الأولية لتوزيع أفكار كتاب الروض الزاهر النضج المنهجي الذي وصل إليه ابن عبد الظاهر من خلال براعته في عرض مادته العلمية وتصنيفها وترتيبها،

منهج ابن عبد الظاهر في كتاب "الروض الزاهر" :

اعتمدت الكتابة التاريخية في العصر المملوكي على أحد منهجين أو على كليهما، وهما : التاريخ حسب السنين (التاريخ الحولي) والتاريخ حسب الموضوعات والاحداث، ومؤرخنا ابن عصره في هذا المجال، فقد انتهج في كتابه طريقة الحوليات في إطار وحدة موضوع متمثلة بالسيرة السلطانية ، وكان السلطان موضوع تاريخه والحوادث مرتبة حسب السنوات وكان يقوم بذكر اليوم والشهر وفي بعض الأحيان يتم ذكر الوقت من النهار(٣) .

(١) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، مقدمة المحقق ، ص ٣٥.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٢.

المحتوى:

ثمة ملاحظة لا بد من ذكرها قبل الحديث عن محتويات البحث، وهي أن السلطان هو محور الحادثة، فهو المطلع، وبصورة دائمة، مباشرة أو بالواسطة على شتى أمور الدولة في جناحيها المصري والشامي، فالسلطة مركزية صارمة، ولا مجال للآخرين حتى كبار نواب السلطنة سوى هامش ضيق للتقدير والتقرير، من هنا وفي إطار تحليلنا للمعطيات، تنطلق من فرضية أساسية تتمثل بأن أي حدث هام، إنما يجري بعلم السلطان وبمعرفته بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

ويحتوي الكتاب على طائفة من المعلومات المتنوعة في تضاعيف أوراقه، تتناول شؤون الدولة المملوكية في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية؛ فهي تلقي أضواء كاشفة على العلاقات داخل الدولة بين السلطان وكبار موظفيه (من تعيين وعزل، ومصادرات وعقوبات .. الخ) ، وبين بعض هؤلاء الموظفين (المهتمين بالشؤون المالية) والمكلفين (من تجار وعامة)، إضافة إلى أخبار النيابات في بلاد الشام والديار المصرية، وعلاقات السلطنة بالدول الأخرى.[1]

اولاً دور بيبرس في ترسيخ دعائم دولة المماليك:

خلت الساحة أمام السلطان الظاهر بيبرس بعد التخلص من سيف الدين قطز وبدأ يفكر في توطيد دعائم دولته خاصة أن الخطر المغولي لم يكن قد انتهى تماماً، زيادة على الخطر الصليبي الذي كان يهدد المشرق الإسلامي:

١- القضاء على الثورات الداخلية:

- ثورة دمشق وقام بها "علم الدين سنجر الحلبي"[٢] الذي عينه قطز، وحاول أن يستميل أمراء وسلاطين حلب، وحمص فرفضوا إجابة طلبه[٣]، وارسل لإحضار البحرية البطالين من البلاد، وارسل إلى الملوك والنواب يخبرهم بسلطنته فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة ما عدا الأمير سنجر الحلبي نائب دمشق فإنه لما استقر في نيابة دمشق كان قد عمر سورها وحصنها فورد عليه الخبر بقتل قطز وسلطنة بيبرس في أوائل ذي الحجة فامتعض لذلك. ورفض طاعة بيبرس[٤].

---

(١) اليوسفي (ت : ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م) موسى بن محمد بن يحيى: نزهة الناظر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق احمد حطيط، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٦١.

(٢) علم الدين سنجر الحلبي: كان نائب قطز على دمشق، فلما جاءته بيعة الظاهر دعا لنفسه فبويع وتلقب " بالملك المجاهد" ثم حوصر وهرب الى بعلبك فحوصر فأجاب الى خدمة الظاهر فسجنه مدة وأطلقه، وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف، واحترمه واكرمه، تُوفي سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٣م.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٩٢.)

(٣)ابن عبدالظاهر : المصدر السابق، ص ٩٤؛ أحمد عودات وآخرون: تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، دار الكندي، إربد – الاردن، ١٩٩٠، ص ٩٤

(٤) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص ٩٤؛ المقريزي : السلوك، ج١، ص٥٢١.

جهز بيبرس جيشاً للقضاء على ثورة دمشق، فعاد الجيش بحاكم دمشق "علم الدين سنجر" في ١٦ صفر ٦٥٩هـ / ١٢٦١م واعتقل بقلعة الجبل [١].

– ثورة القاهرة : بزعامة رجل شيعي من بقايا الفاطميين، يعرف بالكوراني سكن جبل المقطم فلما كثر اتباعه أخذ يدعو لقلب نظام الحكم المملوكي، وتمخضت عن هذه الدعوة ثورة سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، شق الثوار شوارع القاهرة واقتحموا اصطبلات الجنود، وأخذوا الخيول، فأرسل بيبرس الجند والقوا القبض على جميع زعمائهم وصلبهم على باب زويلة[٢].

٢– التخلص من العناصر الأيوبية[٣]: كان الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل، صاحب الكرك[٤] يناوئ سلاطين المماليك منذ عهد عزالدين أيبك اعتقاداً منه أنه أحق منهم في سلطان مصر والشام وكان الظاهر بيبرس قد قرر سابقاً القضاء عليه لولا أن المغيث بعث برسالة شفاعة إلى الخليفة الحاكم بأمر الله يسأله الشفاعة فتشفع له عند بيبرس[٥]، فاتهمه الظاهر بيبرس بمراسلة المغول، يقول ابن تغري بردي[٦]: "قبض على الملك المغيث صاحب الكرك الذي كان معه تلك الأيام على قتال المصريين وغيرهم، فوصل به إلى القاهرة في يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة فكان ذلك أخر العهد به".

٤– عقد تحالفات مع دول مجاورة : حيث عقد عدة تحالفات مع ملوك مسلمين وغير مسلمين :

- حالف ملك صقيلية ونابولي مانفريد بن فرديريك الثاني وتبادلا الهدايا سنة ٦٥٩ هـ/ ١٢٦١م.
- حالف ميخائيل الثامن امبراطور البيزنطيين سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م[٧]، حيث وصل فارس الدين أقوش المسعودي إلى القسطنطينية في سفارة، وأشرف على بناء مسجد هناك.[٨]

(١) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق، ص ٩٤– ٩٦ ؛ ابوالفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص٢١٠ المقريزي : المصدر السابق ونفس الجزء، ص٥٢٦ ؛ احمد عودات: المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٢) أحمد عودات: تاريخ المغول والمماليك، ص٩٤.

(٣) حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق ص ١٦٦–١٦٨

(٤) الكرك: هي كلمة اعجمية وهي اسم لقلعة حصينة جدافي طرف الشام، من نواحي البلقاء في جبالها، بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وهي على جبل عالي تحيط بها أودية إلا من جهة الربض، والكرك ايضاً قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم اهل تلك النواحي انه قبر نوح عليه السلام(الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٣.)

(٥) ابن عبدالظاهر: المصدر السابق، ١٢٢ – ١٢٣؛ أحمد عودات : تاريخ المغول والمماليك ، ص ٩٦

(٦) النجوم الزاهرة، ج ٧، ج ١١٩

(٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٨٨؛ أحمد عودات : المرجع السابق ، ص ٩٦

(٨) المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٥٤٣ ؛ خاشع المعاضيدي : الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢٣٢

- حالف بركة خان، وهو خان القبيلة الذهبية أو مغول القبجاق، وهو أول من اعتنق الإسلام من أولاد جنكيز خان. (١)
- حالف سلطان السلاجقة الروم عز الدين كيكاوس ووعده بالمساعدة ضد أخيه ركن الدين قلج أرسلان وضد هولاكو وأطماعه في آسيا.

٥- تحصين الثغور: وقد استعمل عدة أساليب لذلك الغرض وأهمها:

-تجنيد العشائر المتاخمة للحدود ليقوموا بمهمتهم خير قيام ضد أي عدو خارجي.(٢)

-إعمار القلاع والحصون والأبراج والمناورة وتزويدها بالمؤن والذخيرة، وإصلاح ما وقع فيها من الأمور التي تعيق حسن استعمالها(٣) والنص التالي للمقريزي(٤) يبين مدى اهتمامه بذلك: " وورد الخبر بأن خليج الإسكندرية قد انسد وامتلأت فوهته بالطين وقل الماء في ثغر الإسكندرية بهذا السبب فسير السلطان الأمير عزالدين أمير جاندار(٥) فحفره"، وفي جمادى الأول: سافر الأمير سيف الدين بلبان الزيني(٦) أمير علم إلى الشام برسم تجهيز مهمات القلاع وعرض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور وإلزام الأمراء بتكميل العدد والعدة وإزاحة الأعذار بسبب الجهاد، وقال أيضاً عن تعمير الحصون: وَأمر بعمارة مَا خربه التتار من قلاع الشَّام: وَهِي قلعة دمشق وقلعة الصلت(٧) وقلعة عجلون(٨) وقلعة صرخد(٩) وقلعة بصرى(١٠) وقلعة شيزر(١١)

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر، ص ١٢٩.

(٢) أحمد عودات : المرجع السابق ، من ٩٦

(٣) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٩٣؛ المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٥٢٩.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٧.

(٥) أمير جاندار: هو لقب على الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل، ويدخل أمامهم إلى الديوان وكان من مهامه أيضاً تقديم البريد مع الدوادار وكاتب السر. وصاحب هذه الوظيفة كالمتسلم للبلاب. وإذا أراد السلطان تعزير أحد أو قتله كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة، وهو المتسلم للزردخاناه التي هي أرفع قدراً في الاعتقالات ولا تطول مدة المعتقل بها، بل إما يعجل بتخلية سبيله أو إتلاف نفسه. وكان من مهامه أيضاً أن يطوف بالزفة حول السلطان في سفره. واللفظ " أمير جاندار" مركب من ثلاثة ألفاظ الأول عربي "أمير"، والثاني "جان" ومعناه الروح بالفارسية والتركية والثالث "دار" ومعناه ممسك؛ فيكون المعنى : الأمير الممسك للروح .قال القلقشندي : ولم يظهر لي وجه ذلك إلا أن يكون =المراد أنه الحافظ لدم السلطان، فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته . (العمري: مسالك الأبصار، ص ١١٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠ و ج٥، ص٤٣٣ ؛ حسان حلاق وعباس صباغ : المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ص٢٣)

(٦) الأمير سيف الدين بلبان الزيني: بلبان بن عبد الله الأمير سيف الدين الزيني الصالحي النجمي، أحد أمراء دمشق العيان. كان في أول دولة الترك بالديار المصرية مقدم البحرية، ثم حبس مدة سنين، وأفرج عنه وأعطى أمرية بدمشق فأقام بها إلى أن توفي ليلة الثلاثاء تاسع شهر رمضان المعظم بجبل الصالحية، ودفن من الغد بالقرب من تربة الملك المعظم – رحمه الله. وكان عنده نهضة وكفاية وشجاعة. (اليونيني (ت: ٧٢٦ هـ/١٣٢٥م) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد: ذيل مرآة الزمان، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، ج٣، ٣٠١)

(٧) قلعة الصلت: بليدة وقلعة من جند الأردن، وهي في جبل الغور الشرقي جنوبي عجلون على مرحلة عنها، وهي تقابل أريحا مشرفة على الغور.(ابوالفداء (ت: ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م) : تقويم البلدان، ص ٢٧٦ ؛

(٨) قلعة عجلون: حصن وربضة يسمّى الباعوثة، والحصن عن البلد على هوط فرس وهما في جبل الغور الشرقي قباله بيسان، وحصن عجلون حصن منيع مشهور يظهر من بيسان، وله بساتين ومياه جارية، وهي شرقي بيسان. (أبوالفداء: تقويم البلدان، ص ٢٧٦)

(٩) قلعة صرخد: وهي بلدة صغيرة ذات قلعة مرتفعة وكروم كثيرة وليس لها ماء سوى ما يجتمع من الأمطار في الصهاريج والبرك، وهي من جملة بلاد حوران (ابوالفداء: تقويم البلدان، ص ٢٩٥)

(١٠) قلعة بصرى : وبصرى مدينة كورة حوران، وهي مبنية بالحجارة ، وبها سوق ومنبر، وهي من ديار بني فزارة، وبني مرّة وغيرهم، ولها قلعة ذات بناء متين وبساتين وبناء قلعتها شبيه ببناء قلعة دمشق.(ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٤٤١ ؛ ابوالفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٨٦)

(١١) قلعة شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان.(ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٣)

وقلعة الصبيبة' وقلعة شميميش' وقلعة حمص[١]. فعمرت كلهَا ونظفت خنادقها ووسعت أبراجها وشحنت بِالْعدَدِ وجرد إِلَيْهَا المماليك والأجناد وخزنت بهَا الغلات والأزواد "[٢].

٦- تنظيم البريد: حتى تعرف الأخبار بسرعة وتصل الأوامر في الوقت المناسب وضع للبريد نظاماً ربط به جميع أنحاء المملكة بشبكة من الخطوط البريدية، وكان مركزها قلعة الجبل بالمقطم بالقاهرة. فإليها ترد الرسائل من الحكام والتقارير من الولاة، فيصل الكتاب من المكان البعيد في أقرب وقت، فكان البريد يصل من دمشق إلى القاهرة في أربعة أيام ويعود في أربعة أيام. [٣]

٧- تقوية الأسطول والجيش: عمل السلطان بيبرس على إنشاء قوة برية وبحرية قادرة على صد أعداء الدولة الذين قد يغيروا عليها براً وبحراً، فاهتم بدور صناعة السفن في الاسكندرية ودمياط وكان يُشرف عليها بنفسه، وبنى بثغر رشيد مرقباً لكشف البحر، وأمر بردم فم بحر دمياط فخرج جماعة الحجارين وألقوا فيه القرابيص حتى تمتنع السفن الكبار من دخوله واستمر ذلك إلى اليوم.[٤]

جهوده ضد الصليبيين:

عندما توطدت دعائم سلطة المماليك، وقويت شوكتهم، نتيجة الإجراءات التي اتخذها بيبرس، حيث رأى هذا السلطان ضرورة متابعة سياسة صلاح الدين الأيوبي وخلفائه في طرد الصليبيين، وإجلائهم عن البلاد الإسلامية، ولم يكن ذلك بالأمر السهل، فقد كان لزاماً عليه أن يجابه ما تبقى من الإمارات الصليبية وهي أنطاكية، وطرابلس، والجزء الباقي من مملكة بيت المقدس، وحتى يحقق هدفه اتبع إستراتيجية عسكرية قائمة على ضرب هذه الإمارات الواحدة تلو الأخرى، ولم تنقضِ سنة من السنوات العشر الواقعة بين عامي (٦٥٩: ٦٦٩هـ / ١٢٦١ :١٢٧١م) دون أن يوجه إليهم حملة صغيرة أو كبيرة، وكان ينتصر عليهم في كل مرة.[٥]

وإذا كان الصليبيون قد خف أثرهم، ولم يعد بإمكانهم إرسال حملات جديدة إلى ديار المسلمين لأنهم يئسوا من إحراز النصر، وانقطع أملهم في تحقيق أي هدف لهم بعد أن وجدوا كلمة المسلمين تميل إلى الوحدة، ولم يكن لدعم النصارى في المشرق، والذين

(١) قلعة حمص : قلعة حصينة على تلّ عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف.(ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٢ ، ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٩٨)

(٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر، ص ٩٣ ؛ المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص٥٢٧.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٩٥.

(٤) أحمد عودات: تاريخ المغول والمماليك،ص٩٨.

(٥) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٧م ، ص ١١٩

يعيشون في كنف المسلمين منذ مدة ليست قصيرة، كبير فائدة، غير أن الظاهر بيبرس كان يخالفهم لوجودهم في بلاد المسلمين ولم يأمن مكرهم فى أى وقت من الأوقات، كما لم يأمن مكر التتار الذين خفت هجمتهم الشرسة عما كانت عليه أيام جنكيز خان وهولاكو، غير أن شرهم لا يزال قريباً، ومتوقعاً في كل وقت، لذا فقد عمل السلطان الظاهر بيبرس مع الجهات الثانية وإن كانت ذات ضرر لكنه أقل من شر التتار والصليبيين، لقد تحالف مع إمبراطور الدولة البيزنطية ميخائيل الثامن باليولوج، وأرسل له وفداً وهدايا وذلك عام ٦٦٠ ه/ ١٢٦١م، كما حالف إمبراطور الدولة الرومانية الغربية، وملك صقلية ونابولي مانفرد بن فريدريك الثاني، وكانت لا تزال في صقلية أنذاك بعض المدن الإسلامية، وتشير المراجع أيضاً إلى تبادل الهدايا بين مانفرد وبيبرس، فأرسل هذا الأخير في عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م ، وفداً برئاسة المؤرخ جمال الدين بن وأصل[١] إلى ملك صقلية، وحمله هدية جليلة منها بعض الزرافات، وبعض أسرى عين جالوت من المغول، وقد رد مانفرد بسفارة مشابهة تحمل الهدايا للسلطان ويبدو من هذه التحالفات أن القصد منها عدم دعم الصليبيين، وعدم العمل لإرسال حملات صليبية جديدة .[٢]

ولم ينس بيبرس لحظة عداوة الصليبيين وخطرهم على الشام ومصر، وهو الذي شارك في صدهم عن المنصورة ودمياط، ورأى محاولات لويس التاسع في تأجيج الصراع بين دولة المماليك الحديثة النشأة والملك الناصر ملك الشام، ثم تعاونهم مع الخطر الجديد القادم من الشرق، حيث رأوا فيه حليفاً طبيعياً ساقه الله لنصرتهم، ألا وهو خطر المغول، فاتصلوا بهم وعملوا أدلاء لجيوشهم وجواسيس يطلعونهم على عورات المسلمين، بل سمح بعضهم لبعض الحاميات المغولية بالنزول في حصونهم، فوقعوا هم أنفسهم تحت سيطرة ورحمة ذلك الجماعات[٣]، وكذلك تآمر الصليبيين الدائم مع الحشاشين، الذي كانوا خطراً دائماً يهدد كل مجاهد مسلم من زعماء المسلمين، لهذا قرر بيبرس كما قلده في ذلك خلفاؤه أمثال قلاوون والأشرف خليل، اجتثاث الخطر الصليبي نهائياً من بلاد الشام، حيث اتسمت سياسة الظاهر بيبرس بالعنف والصرامة إزاء الصليبيين، ومنذ سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، بدأت جهود بيبرس العسكرية ضد الصليبيين، وفي مطلع سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م، دخل في عمليات حربية واسعة ضد إمارات الساحل الصليبية، فاستولى على مدينة قيسارية، ثم

(١) جمال الدين بن وأصل: ابن واصل، هو محمّد بن سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين، ولد عام ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٨م، وعمل كمؤرخ، وعالم بالمنطق والهندسة والأصوليين، من فقهاء الشافعية. ، وتوفي سنة ٦٩٧/١٢٩٨م.(الصفدي (ت: ٧٦٤ه/١٣٦٢مـ) : أعيان العصر واعوان النصر، تحقق: الدكتور علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ج٤، ص ٤٤٦؛ نكث الهميان في نكت العميان، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ الزركلي: الاعلام، ج٦، ص١٣٣)

(٢) ابوالفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص٤٢٦؛ محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج٧، ص ٤٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٣٦

مدينة أرسوف إلى الجنوب منها، وفي العام التالي مباشرة أخذ قلعة صفد التي كانت معقل الفرسان الداوية، وكان يقود جيوشه بنفسه في هذه المعارك،[١] وقد استولى عليها بيبرس بعد حصار استمر أحد عشر يوماً، وقتل أفراد الحامية من فرسان الداوية، وهم الفرسان الأشداء، ليكونوا عبرة لغيرهم من الصليبين.[٢]

وفي أثناء القتال ضد قيسارية أخذ يهدم أسوارها بمطرقة في يده حتى جرحت يده، وفي صفد كان يشارك البقر في جر الأخشاب اللازمة لعمل الأبراج لمهاجمة القلعة، وفي ٦٦٦هـ/١٢٦٨م استولى على يافا، ثم حصن شقيف أرنون المنيع، وكانت سياسة بيبرس تقوم على الإفادة من منازعات الصليبيين الداخلية، وبعد مناورة كبيرة قامت بها جيوش هذا السلطان الداهية فوجئ الصليبيون بالقوات المصرية والشامية تحاصر أنطاكية، ثم تستولي عليها سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م ، واستولى بيبرس على المدينة التي ظلت رهينة الأسر الصليبي على مدى أكثر من مائة وخمسين عاماً، وكان ذلك أكبر انتصار حققه المسلمون على الصليبين منذ أيام حطين واسترداد بيت المقدس، وكان فرح المسلمين عظيماً بهذا الفتح.[٣]

سقوط إمارة أنطاكية :

بدأت الهزائم تحل بالصليبيين منذ سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٠م، عندما أرسل بيبرس جيشاً يتقدمه الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي، ثم جيشاً بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون الألفي، للإغارة على مواقع الصليبيين، فاستولوا على قلاع، حلب، القليعات، وعرقاء، وسنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨ م، ، سقطت يافا[٤]، بعدها اتجه بيبرس نحو الشمال، فأغار على طرابلس، ثم رحل عنها إلى حصن الأكراد، حيث حصل على مائة ألف دينار، مقابل الابتعاد عن الحصن، وتابع سيره نحو أنطاكية، مروراً بحمص، حماه، أفامية، ثم حاصر أنطاكية براً وبحراً، حتى لا تصل إليها الإمدادات، ودخلها في ٤ رمضان ٦٦٦هـ/١٨ مايو ١٢٦٨، بعد أن قتل فيها أكثر من أربعين ألفاً، وكانت الغنائم كثيرة من الأسرى والمال، وبعد تسعة أيام، استولى بيبرس على حسن بغراس بالأمان في ١٣ رمضان وجعله حصناً للمسلمين.[٥]

(١)ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٣٠، ٢٣٥، ٢٥٥ ؛ قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، سلسلة كتب ثقافية شهرية بصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص ١٣١

(٢) عصام محمد شبارو: السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، ص ٢٠

(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص ٥٣٦ – ٥٦٨

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر،٢٩٢.

(٥) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٢٩٩– ٣٢٥ ؛ عصام محمد شبارو: السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، ص ٢٠

وقد أضعف سقوط أنطاكية روح المقاومة ضد الصليبيين؛ لأنها كانت بحكم موقعها الجغرافي سنداً قوياً للدولة الصليبية منذ أوائل الحروب الصليبية، وتشير المراجع إلى الرسالة التي كتبها بيبرس إلى أميرها بوهمند السادس، الذي كان مقيماً وقتئذ في إمارته الثانية طرابلس في جنوب أنطاكية، وكانت هذه الرسالة مليئة بعبارات السخرية والتهكم، أما الصليبيون فقد جاءت أنباء سقوط إنطاكية عليهم بمثابة الكارثة، وانتابهم خوف شديد فسارعوا إلى تقديم فروض الطاعة والولاء للسلطان وعندما طلب ملك عكا الصليبي معاهدة هدنة مع بيبرس لقاء التنازل عن نصف أملاك التاج الصليبي في عكا، وافق السلطان على أساس أن هذه الهدنة تطلق يده في مواجهة القوى الصليبية الأخرى في الشام، وكانت مدة الهدنة عشر سنين وعشر أشهر وعشر ساعات من ١١ رمضان سنة ٦٧٠ هـ .[١]

محاولة فتح قبرص:

ولم يكتف بيبرس بهذا النصر العظيم، فوجه همه نحو جزيرة قبرص ليؤدب ملكها هيو الثالث، الذي كان دائم التهديد للسفن الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، ودائم المساعدة للصليبيين، فوجه نحوه حملة بحرية عام ٦٦٨ هـ/١٢٧٠م)، ولكنها فشلت بسبب العواصف التي حطمت معظم سفنها، فنجي بذلك ملكها من عقاب بيبرس.[٢]

لم يثني هذا الفشل في فتح قبرص، بيبرس عن مواصلة الجهاد ضد الصليبيين، فاستولى في عام ٦٦٩ / ١٢٧٠م على صافيثا، وحصن الأكراد، وحصن عكار، والقرين، ثم واصل مهاجمة إمارة طرابلس، فاستولى على ما حولها من حصون وممرات وكاد أن يفتحها، ولكنه عندما علم بخروج الحملة الصليبية الثامنة من فرنسا خشي أن تكون جهتها مصر، فسارع إليها للاستعداد لمواجهة هذا الخطر.[٣]

ثم أخذ بيبرس بعد ذلك في مهاجمة إمارة طرابلس سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧١م، عندما بلغه أن الأمير إدوارد الإنجليزي وصل إلى عكا على رأس بعض مئات من الفرسان بقصد الحج إلى بيت المقدس، ويبدو أن وصول ذلك الأمير أثار مخاوف بيبرس إذ خشي أن تكون تلك الحركة مقدمة لحملة صليبية كبيرة في طريقها إلى الشام، لذلك قبل بيبرس العرض الذي تقدم به بوهمند السادس صاحب طرابلس، وتم عقد الصلح بين الطرفين على أن تكون الهدنة عشر سنوات، ومن الطريف ما يحكى في هذا الصدد من أنه في أثناء

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٣٢ ؛ المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٥٩

(٢) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية، مكتبة النهضة، القاهرة، (د ت)، ص٤٧، ٤٨

(٣) السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص ٢٦٩

المفاوضات التي دارت بين رسل بيبرس وبوهمند السادس، كان بيبرس نفسه مندساً بين أعضاء الوفد الذي يمثل بلاده، ومتنكراً في زي خادم كى تتاح له حرية التنقل بين حصون طرابلس ومعرفة مواضع القوة والضعف فيها تمهيداً لفتحها فيما بعد.(١)

جهوده ضد المغول

لم ينس المغول ما حل بهم في موقعة عين جالوت، فظلوا يتطلعون إلى الثأر لما حدث لهم، فرأى بيبرس أن يتحالف مع مغول القفجاق، وكان محيي الدين بن عبد الظاهر بقدراته الكتابية والبلاغية خير معين لبيبرس في حربه الدبلوماسية التي قامت على مراسلة حلفاءه وأعداءه على السواء، فما أن علم بيبرس باعتناق بركة خان ملك مغول القبيلة الذهبية الإسلام حتى طلب من محيي الدين كتابة خطاب على لسانه إلى بركة خان يغريه بهولاكو ويعرفه أن جهاده واجب عليه لتواتر الأخبار بإسلامه ويلزمه إذ دخل في دين الإسلام أن يجاهد الكفار وأمثال هذا الكلام ونحوه من التحريض والإغراء(٢)، ويذكر محيي الدين(٣) أن خطابه هذا كان فيه اغراء كثير ويوقع البغضاء بين بركة خان وهولاكو وقد كان رد الفعل سريع من بركة خان إذ سرعان ما أرسل مبعوثيه إلى القاهرة في عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢ م ، يخبر بيبرس فليعلم السلطان أني حاربت هولاكو الذي من لحمي ودمي لاعلاء كلمة الله العليا تعصباً لدين الإسلام لأنه باغ والباغي كافر بالله ورسوله. (٤)

وقد تم تبادل الرسائل والسفارات بين بيبرس وبركة خان بل ظلت تتبادل هذه الرسائل والسفارات بين سلاطين المماليك البحرية وخانات مغول القفجاق (أو مغول القبيلة الذهبية)، وقد بلغ عدد السفارات المتبادلة بينهما نحو أربعين سفارة منها تسعة في عصر الظاهر بيبرس، غير أن بيبرس لم يعتمد كل الاعتماد على هذا التحالف بل خرب الطرق والوديان المؤدية إلى بلاد الشام حتى لا يجد المغول إذا تقدموا ما يحتاجون إليه من الميرة، كما أن هولاكو تحالف مع الصليبيين في الشرق وخاصة مع ملك أرمينية، لكي يقوى بذلك على صد هجمات بركة خان وسلطان المماليك بمصر.(٥)

(١) حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص ١٧٨

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٨٨، ٨٩.

(٣) محيي الدين بن عبد الظاهر : الروض الزاهر، ص ٨٨-٨٩.

(٤) جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، ج٢، ص١٤٠

(٥) حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص١٧٨، ١٧٩.

وبعد وفاة طاغية التتار هولاكو عام ٦٦٣ ه/ ١٢٦٤م، تولى مكانه ابنه أباقا خان (٦٦٣ه/ ١٢٦٥م) [١] وكان على قدر عال من الحنكة[٢]، وبدا يتصل بالصليبين إذ كان يعطف على النصارى، وتزوج ابنة إمبراطور القسطنطينية، وقد حاول أباقا خان أنّ يعقد صلحاً مع المماليك مقابل الخضوع له، غير أن الظاهر بيبرس رفض ذلك، فأغار المغول على الرحبة، فأرسل بيبرس حملة انتصرت على التتار عند نهر الفرات.[٣]

وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥م، وصل إلى الظاهر بيبرس أن التتار أغاروا على قلعة البيرة الحصينة الواقعة على نهر الفرات، وحاصروها بغية الاستيلاء عليها، فجهز جيشاً لمحاربتهم ثم سار هو بنفسه حتى وصل إلى غزة، ومنها واصل سيره شمالاً ولكن وافته الأنباء بأن المغول حينما علموا أن عساكره المصرية أشرفت على البيرة سارعوا بالفرار تاركين وراءهم عِددهم وأثقالهم، وقد أمر بيبرس بعمارة ما خرب من البيرة ويحمل آلات القتال إليها من مصر والشام، وبإعداد كل ما يحتاج إليه أهلها في الحصار لمدة عشر سنين.[٤]

وفي سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م، توجه بيبرس لملاقاة التتار على أرضهم فحمل عدة مراكب مفصلة أجزاء على ظهور الجمال وأنزلها في نهر الفرات لتعبر بها جيوشه واستطاع بيبرس وجنوده عبور النهر والانتصار على الجيوش المغولية ومطاردة فلولها في الأراضي العراقية سنة ٦٧٢هـ /١٢٧٣م، حيث بنجاح بيبرس في هذه الحملة استطاع أن يؤمن حدوده الشرقية من الخطر المغولي .[٥]

وبعد أن أمن حدوده الشرقية، أراد تأمين حدوده الشمالية، فاتجه الظاهر بيبرس عام ٦٧٥ هـ/ ١٢٧٤م ، إلى آسيا الصغرى منطقة سلاجقة الروم الذين وقفوا بجانب التتار، فالتقى بجيش تتاري فهزمه وقتل سبعة آلاف رجل منه، ودخل قيصيرية حاضرة سلاجقة الروم، ولكنه لم يستطع تقوية حصون آسيا الصغرى التي احتلها للوقوف في وجه التتار،[٦] ويأخذ بعض المؤرخين على بيبرس أنه لم يعد إلى بلاد سلاجقة الروم لحمايتها وطرد

(١) أباقا خان: ثاني ملوك إلخانات فارس .وهو ابن هولاكو، دخل فارس مع ابيه سنة٦٥٤/ ١٢٥٦م انتخبته اسرته إلخانا منغوليا وأيد انتخابه قوبلاي خان وكان معظم حكمه منشغلا بالحروب الأهلية له عدة محاولات عسكرية غير ناجحة لغزو الشام بما فيها موقعة حمص الثانية (رشيد الدين الهمذاني: جامع التوريخ، ج٢، ص ٣ -٦ ؛ حسن الأمين : غارات على بلاد الشام، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م، ص١٠٦ ، ١٠٧)

(٢) ابن الكثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٩٧

(٣) محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج٧، ص ٥٠، ٥١.

(٤) حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص ١٧٩.

(٥) حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص ١٨١

(٦) محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج٧، ص٥١.

وطرد المغول منها بحكم أنها صارت تابعة لدولة المماليك رسمياً، ولكن ربما كان السبب في ذلك أن بيبرس في ذلك الوقت تولاه التعب أو المرض بدليل أنه توفي في تلك السنة.(١)

وكانت هذه آخر أعمال السلطان الظاهر ركن الدين بيرس البندقداري، فبعد هذه الأحداث بوقت قصير توفي السلطان وهو في قمة حياته الحافلة بالنشاط السياسي والعسكري في الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة ٦٧٦هـ / ٣٠ يونيو ١٢٧٧م، بعد أن تجاوز الخمسين عن عمره بعد فترة حكم طالت إلى سبع عشرة سنة وشهرين واثني عشر يوماً، وكانت وفاته في دمشق فدفن قرب داريا ببلاد الشام حسب وصيته.

هكذا جاءت نهاية بطل من أبطال تاريخ المسلمين، كان ملء العين والقلب، أحبه الناس ولهجوا بسيرته، وأضافوا إليها الكثير من خيالهم لأنه كان يسير على طريق تحقيق أماني الأمة ومحاربة أعدائها.(٢)

(١) حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص ١٨٢.

(٢) قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٣٨.

المصادر والمراجع:

اولاً: المصادر:

ابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) عزالدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم الشيباني :

- الكامل في التاريخ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤م)محمد بن أحمد :

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م..

إسحاق بن الحسين المنجم (المتوفى: ق ٤هـ):

- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ

بيبرس الدودار(ت : ٧٢٥ه/ ١٣٢٥م) ركن الدين بيبرس المنصوري

- التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبدالحميد صالح، الدار المصرية اللبنانية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

ابن تغري بردي (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي:

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر

الحِميرى (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم

- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق أحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، طبع على مطابع دار السراج، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية،١٤٠١ هـ/١٩٨٠م.

ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد:

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

رشيد الدين الهمذاني(٧١٨ه/ ١٣١٨م) رشيد الدين فضل الهمذاني :

- جامع التوريخ، نقله الي العربية محمد صادق نشات فؤاد عبدالمعيطي صياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،

السيوطي (٩١١هـ/١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر:

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠ م.

ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩ هـ /١٦٧٨م) عبد الحي بن أحمد بن محمد:
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

العمري(ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي :
- التعريف بالمصطلح الشريف، عني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه: محمد حسين شمس الدين،: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م
- مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الامارات، الطبعة الاولي، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م،

العينى (ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى:
- عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م .

ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢ م) أبو الفداء إسماعيل بن عمر:
- البداية والنهاية، دار الفكر ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦.

محيي الدين بن عبدالظاهر(ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) :
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الطبعة الاولي، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م

المقريزي (ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين :
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، لطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

اليونيني (ت: ٧٢٦ هـ/١٣٢٥م) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد:
- ذيل مرآة الزمان، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢

ثالثاً: المراجع:

- أحمد عودات وآخرون: تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، دارالكندي، إربد –الاردن، ١٩٩٠،
- حسان حلاق وعباس صباغ : المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان
- محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٧م

- قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، سلسلة كتب ثقافية شهرية بصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠
- عصام محمد شابارو: السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري
- سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية، مكتبة النهضة، القاهرة، (د ت)،
- السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٦٧
- جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الأسلامية، دار المعارف،
- حسن الأمين : غارات على بلاد الشام، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م
- رابعاً: المراجع المعربة
- لي سترانج: فلسطين في العهد الاسلامي، ترجمة محمود عمايرة، دائرة الثقافة والفنون، الأردن،